

منزلة الشباب في الإسلام

_ القسم الثالث _

سادساً _ شباب يُقتدى بهم:

هذه بعض المواقف المباركة والأعمال الفاضلة من شباب صالحين تصلح لأن تكون نبراساً لكل مستضيء، ومنازلٍ تشع بالضيء لكل الحائرين:

أ _ شباب يُقتدى بهم في نبذ الشرك، ومقارعة المشركين:

1 _ نبي الله إبراهيم عليه السلام:

قال الله عز وجل: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (الأنبياء: ٥٧ إلى ٦٠).

2 _ أصحاب الكهف:

قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (الكهف: من الآية ١٣).

3 _ فتیان بني سلمة:

"... كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرفهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب؛ يقال له: مناة _ كما كانت الأشراف يصنعون _ يتخذها إلهاً يعظمه ويطهره، فلما أسلم فتیان بني سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح في فتیان منهم ممن أسلم، وشهد العقبة، كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة _ وفيها عذر (١) الناس _ منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟! "

قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه! فإذا أمسى، ونام عمرو عدواً عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع؛ فهذا السيف معك!

فلما أمسى، ونام عمرو عدواً عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً، فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به؛ فخرج يتبعه، حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروئاً بكلب ميت، فلما رآه، وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه؛ فأسلم _ برحمة الله _ وحسن إسلامه، فقال حين أسلم، وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك، وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن أنت وكنبٌ وسَطٌ بئرٍ في قَرْن

أفٍ لِمَقَاكَ إلهاً مُسْتَدَنُ الآنَ فَتَشْنَاكَ عن سوء العَبْن

الحمد لله العليّ ذي المَنِّ الواهبِ الرزاقِ دِيَّانِ الدِّينِ

هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبرٍ مرتين

بأحمد الهدى النبيّ المؤتمن" (٢).

4_ شباب الهجرة:

قالت [أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها]: "... ثُمَّ لَجِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيْتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ تَقَفْتُ لَقْنٍ فَيُدِلُّجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحْرِ، فَيُصْبِحُ مَعَ فُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَغَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظُّلَامُ..." (٣).

ومن رجع إلى أصل الخبر في كتب السنة يعلم أنه قد اشترك في التخطيط والإعداد لهجرة النبي _ صلى الله عليه وسلم _ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه أربعة، كلهم كانوا شبابًا: عبد الله ابن أبي بكر _ رضي الله عنه _ وكان شابًا، كما أثبتت الرواية، وعلي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _ الذي بات في فراش رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _، وكان في الحادية والعشرين، وعامر بن فهيرة _ رضي الله عنه _، وكان في الخامسة والثلاثين، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما _ ذات النطاقين _ وقد كانت في السابعة والعشرين.

5_ شاب مجاهد:

_ عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه أنه قال: _ وهو مصافئ (٤) العدو _ سمعت رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ يقول: " إن الجنة تحت ظلال السيوف. فقال: شاب رث الهيئة: أنت سمعت هذا من رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _؟ قال: نعم. فكسر جفن سيفه معه، ثم قال لأصحابه: السلام عليكم، ثم دخل في القتال " (٥). " فضرب به حتى قُتل " (٦).

6_ شاب مجاهد قائد:

"... أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... أسامة بن زيد، وهو غلام شاب، فانتدب في بعثه عمر بن الخطاب، والزبير بن العوام، فتوفي رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ قبل أن يصل ذلك البعث، فأنفذه أبو بكر الصديق بعد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ (٧). وكان إذ ذاك ابن (ثمانية عشرة سنة) (٨).

7_ سبعون شابًا قضوا نحبتهم في سبيل الله:

_ عن أنس بن مالك رضي الله عنه _ قال: " جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا [وعند ابن حبان ٧٢٦٣ : " كان شباب من الأنصار...] مِنْ الْأَنْصَارِ، يُعَالُ لَهُمْ: الْقُرْآنُ فِيهِمْ خَالِي " حَرَامٌ " يَفْرُغُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيبُونَ بِالْمَاءِ، فَيَصْغَوْنَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ، فَيَبِيعُونَهُ، وَيَسْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَالْفُقَرَاءِ، فَبِعْتَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَتَلَّوْهُمُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ، فَرَضِينَا عَنكَ، وَرَضِيَتْ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسَ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ؛ فَقَالَ حَرَامٌ: فُرْتُ، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: " إِنْ إِحْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ، فَرَضِينَا عَنكَ، وَرَضِيَتْ عَنَّا " (٩).

ب_ شباب يقتدى بهم في الجِد في تحصيل العلم وتدوينه:

1_ القاضي الشاب:

_ قال علي _ رضي الله عنه _ : " بعثني رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ إلى اليمن؛ قال: فقلت: يا رسول الله، إني رجل شاب، وإنه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به. قال: فوضع يده على صدري، وقال: اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه. فما شككت في القضاء، أو في قضاء بعد " (١٠).

2_ شاب عالم حافظ:

قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ [رضي الله عنه]: " أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ: " إِيَّيْ وَاللَّهِ مَا أَمَّنَ يَهُودٌ عَلَى كِتَابِي " ، فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَدَّقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِ " (١١).

... قال أبو بكر [لزید بن ثابت رضي الله عنهما]: إنك رجلٌ شابٌ عاقل، ولا نتهمك؛ كنت تكتب الوحي لرسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ ، فتتبع القرآن؛ فاجمعهُ... (١٢).

3_ فتيات لم يمنعن الحيض من شهود دعوة الخير:

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ [رضي الله عنها] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَخْرَجُوا الْعَوَاتِقَ (١٣)، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ (١٤)؛ لِيَسْهَدْنَ الْعِيدَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَلِيَجْتَنِبَنَّ الْخَيْضَ (١٥) مُصَلَّى النَّاسِ " (١٦).

ج_ شباب يقتدى بهم في صحبة الصالحين، والعلماء الربانيين، وخدمتهم، والأخذ عنهم:

1_ فتى موسى:

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (الكهف: ٦٠).

2_ شباب بني ليث:

عن مالك بن الحويرث [الليثي رضي الله عنه] قال: " أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ سَبَبَةٌ مُتَفَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِيمًا رَفِيفًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اسْتَهَيْبْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اسْتَفْقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا؛ فَأَخْبَرْنَاهُ؛ قَالَ: " ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ وَذَكَرْ أَسْيَاءَ أَحْفَظْهَا، أَوْ لَا أَحْفَظْهَا _ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؛ فَلْيُؤَدِّ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ " (١٧).

3_ الصحابي الشاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضِرَاءَ، لَا يَسْفُطُ وَرَفْهًا، وَلَا يَبْحَثُ. فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ شَجَرَةٌ كَذَا، هِيَ شَجَرَةٌ كَذَا. فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ؛ فَاسْتَحْيَيْتُ! فَقَالَ: " هِيَ النَّخْلَةُ ... فَحَدَّثْتُ بِهِ عَمْرٌ؛ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ فُلْتَهَا لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا " (١٨).

4_ الصحابي الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه:

عن أبي إدريس الخولاني قال: " جلست مجلساً فيه عشرون من أصحاب محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ، فإذا فيهم شابٌ حسن الوجه، حسن السن، أدهج العينين، أعر الثنايا، فإذا اختلفوا في شيء، أو قالوا قولاً انتهوا إلى قوله، فإذا هو معاذ بن جبل، رضي الله عنه... " (١٩).

5_ شباب الأنصار:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كان للنبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ عشرون شاباً من الأنصار يلزمونه لحوائجهم، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه " (٢٠).

وعن أنس بن مالك [رضي الله عنه] قال: " كَانَ شَبَابٌ مِنَ الْإِنصَارِ سَبْعِينَ رَجُلًا؛ يُقَالُ لَهُمْ: الْفَرَاءُ. قَالَ: كَانُوا يَكُونُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا أَمْسُوا انْتَحَوْا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَيَبْدَأُ رَسُونَ وَيُصَلُّونَ، يَحْسِبُ أَهْلُهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ

في أهليهم، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي وَجْهِ الصُّبْحِ اسْتَعْدَبُوا مِنَ الْمَاءِ، وَاخْتَطَبُوا مِنَ الْحَطَبِ، فَجَاءُوا بِهِ فَأَسْنَدُوهُ إِلَى حُجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... " (٢١).

وفي رواية: "... فَكَانُوا إِذَا جَنَّهُم اللَّيْلُ انْطَلَقُوا إِلَى مُعَلِّمٍ لَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ فَيَذْرُسُونَ اللَّيْلَ حَتَّى يُصْبِحُوا، فَإِذَا أَصْبَحُوا؛ فَمَنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ اسْتَعْدَبَ مِنَ الْمَاءِ، وَأَصَابَ مِنَ الْحَطَبِ، وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ سَعَةٌ اجْتَمَعُوا؛ فَاسْتَرَوْا الشَّاةَ، وَأَصْلَحُواهَا، فَيُصْبِحُ ذَلِكَ مُعَلَّقًا بِحُجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... " (٢٢).

انتهى البحث بعون الله تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد، عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

الحواشي:

([١]) القدر.

(٢) ابن هشام _ السيرة النبوية _ ج ٢ ص ٦٠ و ٦١.

(٣) البخاري: ٣٩٠٥.

(٤) بفتح الميم: موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف. وبضمها: مقابل العدو. انظر: ابن الأثير _ النهاية في غريب الحديث والأثر _ ج ٣ ص ٣٧ و ٣٨.

(٥) مسلم: ١٩٠٢، والحاكم: ٢٤٣٥ _ واللفظ له _ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) من رواية: مسلم السابقة.

(٧) عبد الرزاق في المصنف: ٩٧٧٠، ج ٥ ص ٤٥٤.

(٨) انظر: ابن الأثير _ أسد الغاية _ ج ١ ص ٩١.

(٩) مسلم: ١٩٠٢.

(١٠) الحاكم: ٤٧١٤. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

([١]) أبو داود: ٣٦٤٥ _ واللفظ له _، والترمذي: ٢٧١٥، وأحمد: ج ٣ ص ١٨٦، والبخاري _ تعليلاً _ : ٧١٩٥. وقال عنه الترمذي: حسن صحيح.

(١٢) البخاري: ٤٩٨٦.

(١٣) جمع عاتق: وهي التي قاربت البلوغ، وقيل: الشابة أول ما تبلغ، وقيل: هي ما تزوجت، وقد أدركت وشبَّت.

(١٤) جمع خدر: الستر والبيت.

(١٥) جمع حائض.

(١٦) البخاري: ٩٧٤، ومسلم: ٨٩٠، وغيرهما، وهذا رواية ابن ماجه: ١٣٠٨.

(١٧) البخاري: ٦٣١.

(١٨) البخاري: ٦١٢٢.

(١٩) الحاكم: ٧٣١٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٢٠) الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة: ٢٢٣٠، ج ٦ ص ٢١٨، وإسناده حسن.

(٢١) أحمد: ١٣٠٥٠، وإسناده صحيح.

(٢٢) حم: ١١٩٩٤، وإسناده صحيح.